نبذ التطرف طريقاً للتسامح الديني

Rejection of extremism is a path to religious tolerance

أ.د. عبد الرحمن مركب عواد

كلية العلوم الاسلامية/ جامعة بغداد

Prof. Dr. Abdel Rahman markab Awwad

College of Islamic Sciences / University of Baghdad

07506258601

أ.م.د. عمار باسم صالح

كلية العلوم الاسلامية/ جامعة بغداد

a.m.d. Ammar Bassem Saleh

College of Islamic Sciences / University of Baghdad

07904219659

amar.saleh@cois.uobaghdad.edu.iq

الملخص

إن من اهم الامور التي تبحث عنها جميع المجتمعات في العالم وهو السلم الاهلي او التعايش السلمي بين الاديان والمذاهب والملل الاخرى.

حاول البحث إبراز ان التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على ما هيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء،فالتَّعَايُشُ السِّلْمِيُّ تَعْبِيرٌ يُرَادُ بِهِ خَلْقُ جَوٍّ مِنَ التَّفَاهُمِ بَيْنَ الشُّعُوبِ بَعِيدا" عَنِ الحَرْبِ وَالعُنْفِ.

يؤكد البحث ان التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على مافيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء، وقد أبرز البحث جملة من الحقائق بعد أن تمت معالجة المقدمات الممهدة لها؛ اذ وضح البحث أهمية تفعيل نبذ التطرف في المجتمع والآلية الناجعة للحد من الفتن و الصراعات الطائفية و العرقية والجنسية في أي مجتمع على قاعدة المساواة وعدم التمييز.

ان نبذ التطرف له اثر في ترسيخ مقصد مهم من مقاصد الشريعة وهو المحافظة على عقول الناس، من الانحدار نحو التصورات الفاسدة، والافكار المنحرف لذا أصبح لزاما من ضرورة تحذير العوام من الولوج في فهم القضايا العلمية وبناء تصوراتهم على وفق قراءاتهم الخاصة وغير المنضبطة بأصول وقواعد التفكير العلمي والأكاديمي.

كما واكد البحث أن التعايش السلمي هو اتفاق وقبول وتصالح أخلاقي بين الناس في تعاملهم ومعاملاتهم حيث ما وُجِدوا في نفس الزمان والمكان.

كلمات مفتاحية: (تطرف، عنف، طريق، تعايش، سلم)

Summary

One of the most important things that all societies in the world are looking for is civil peace or peaceful coexistence

.between religions, sects and other denominations

The research attempted to highlight that coexistence is the will of the people of the heavenly religions and different civilizations to work in order for security and peace to prevail in the world, and so that humanity lives in an atmosphere of brotherhood and acquaintance with what is the good that prevails among all human beings without exception. Peaceful coexistence is an expression that is intended to be a creation Understanding among peoples .is far from war and violence

The research confirms that coexistence is the will of the people of the heavenly religions and the different civilizations to work in order for security and peace to prevail in the world, and for humanity to live in an atmosphere of brotherhood and acquaintance with what is good that pervades all human beings without exception. Introductions to it; The research clarified the importance of activating the right of citizenship in society and the effective mechanism to reduce sectarian, ethnic and sexual conflicts and conflicts in .any society on the basis of equality and non-discrimination

The rejection of extremism has the effect of establishing an important purpose of the purposes of Sharia, which is preserving the minds of people, from regression towards corrupt perceptions, and deviant ideas. Therefore, it .has become imperative to warn the

The research also confirmed that peaceful coexistence is agreement, acceptance and moral reconciliation between people in their dealings and .dealings where they are not found in the same time and place

Keywords (extremism, violence, way, coexistence, peace)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه، وبعد.

ان من افرازات الفكر الحديث المواطنة التي تعد من المفاهيم الحضارية للنتاج الفكري للإنسان، ومن تراكم المنجزات الحضارية التي أسهمت في رفع الإنسان وجعلته قيمة عليا بعدما غاب وغيب لمدد طويلة تحت مسميات مختلفة.

وتطور مفهوم المواطنة مع تطور المجتمعات البشرية، وبدأت الجماعات البشرية التي تقوم على تعاضد أفراد الجماعة الواحدة، لمواجهة التحديات التي قد تتعرض لها بالتكتل نظراً لشعور أفرادها بالحاجة إلى الآخرين، والعيش في جماعة ينتسب إليها.

إن التسامح صفة انسانية حضارية ليس بوسع أحد نكرانها، وقد تمثلت هذه الصفة باحلى مظاهرها في النبي محمد ﴿ ﷺ ﴾، ولا سيما في مجتمع المدينة الذي كان يموج بالتنوع الديني والاثني من اليهود الى المسيح الى الديانات الاخرى التي سكنت قديما قبل العرب انفسهم. لهذا نجد ان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ عند قدومه للمدينة أعد وثيقة المدينة التي حملت في طياتها اقرار بحقوق الجميع بدون تمييز أو تفرقة وعن طريق الوثيقة يمكن معرفة حقيقة التعايش وطبيعة التعامل الذي قامت عليه اسس العلاقة.

ان العلاقات والصلات بين ابناء المجتمع تزداد وتتعمق اذا بنيت على استمرار التعايش السلمي في بقعة جغرافية واحدة وخضوع الافراد في مجموعهم لنفس الميول والعادات والتقاليد المشتركة التي تؤثر في سلوكهم وتاريخهم، وبالتالي ترسم أهدافهم وأمانيهم العامة. وربما التعايش السلمي لم يتهيأ لاحد على الصورة التي تهيأت للعرب حين ارتبط تاريخهم بالإسلام، فاعطاهم الهدف في هذه الحياة وجمعهم على عقيدة التوحيد ونشر تعاليم الرسالة التي قامت على مبادئ الحق والعدالة والمساواة واتسمت بسمات الاخاء والتسامح.

وقد اخترنا أن نكتب بحثاً يتناول بنحو موجز غير مخل بالمطلوب بعض المبادئ الاساسية لمفهوم التعايش الديني ونبذ التطرف ولبناء مجتمع يسوده السلم الاجتماعي ويعمه التعايش السلمي، يعرف كل فرد فيه مسلماً كان أم غير مسلم ما له وما عليه، على وفق ضوابط

ومحددات تحقق العدل والحق والمساواة بين الجميع، وتدفع الظلم والجور والحيف عن الجميع.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه: على مقدمة ومطلبين وخاتمة- تناولنا في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، بينما تناولنا في المطلب الأول مفهوم التعايش، أما المطلب الثاني فقد تناولنا فيه دور الاسلام لتحقيق مبدأ التعايش والطريق اليه، ثم ختمنا هذا البحث بخاتمة أوجزنا فيها أهمَّ ما توصلنا إليه من نتائج، وأخيرًا نسأل اللهَ أنْ نكون قد وفِّقنا في رسم صورة واضحة المعالم لهذا البحث الذي قد يُنظر إليه من زوايا متعددة، وأملنا بالله كبير ألاَّ تكون من بينها نظرة سطحية تحكم عليه، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الباحثان

المطلب الاول: مفهوم التعايش

هو (عيش)، وتدل على الحياة والبقاء، قال الخليل (العيشُ: الحياةُ. والمعيشة: الّتي يعيش بها الإنسان من المطعم والمشرب، والعِيشة: ضربٌ من العيش، مثل: الجِلْسة، والمِشْية، وكلّ شيء يعاشُ به أو فيه فهو معاش، النّهار معاش)[١]، ويقال: (تعايشوا) عاشوا على الألفة والمودة، وعايشه :عاش معه[٢].

واما التعايش بمفهومها الاصطلاحي فهو لا يبتعد كثيراً عن المعاني اللغوية السابقة، لكن قبل ذلك علينا الاستشهاد بتعريفات المفكرين، ثم نستنبط من المعاني اللغوية لمفردة التعايش.

اذ عرفه العلماء بعدة تعريفات فمنها: (هو تعريف غير المسلمين بديننا، والدعوة إليه، فان لم يقبلوه دينا لهم، فينبغي حينئذ وضع القواعد التي تكفل حقن الدماء، والتمكين للناس من السعي في الأرض وإقامة العدل بين الناس، والتعاون فيما يمكن التعاون فيه).[٣]

وايضاً عرف بأنه الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة. وهذا التعريف يعني قبل كل شيء اتخاذ موقف ايجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم وحرياتهم الأساسية المعترف بها عالمياً"[٤].

ان التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعاً من دون استثناء[٥].

وايضاً يعرف بانه هو العيش والسلام بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان في دينه، وأخيه الإنسان المؤمن في دين آخر، بين الإنسان والإنسان مهما كان هويتهما بوصفهما كائنين مكرمين من الله تعالى، بوصفهما ابني آدم (عليه السلام)، ولقد كرّم الله بني آدم أجمعين، كما يقول تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)[٦].

اما منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) فقد عرفت التعايش في بيان لها بأنه احترام الآخرين، وحرياتهم، والاعتراف بالاختلافات بين الأفراد، والقبول بالآخر، وتقدير التنوع الثقافي، وعدّه آخرون بأنه : اجتماع مجموعة من الناس في مكان

معين، تربطهم وسائل العيش من المأكل والمشرب وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى، ويعترف كل منهما بحق الآخر من دون اندماج وانصهار، أي أن يكون التعايش المطلوب مع مجموعة مختلفة في الدين أو اللون أو الطائفة أو القومية(٦). وتتسع في مدلولاتها لتشمل كل القضايا المتعلقة بحياة الإنسان فيما يفعل وفيما لا يفعل، في حركته الفردية والاجتماعية، في الممارسات الذاتية المتعلقة بطعامه وشرابه ولهوه ولعبه وغرائزه وميوله"[٧]، وهو مبدأ يدعم حرية فرد أو مجموعة في الحياة الخاصة أو العامة في اظهار دينهم أو معتقداتهم أو شعائرهم الدينية سواء بالتعليم أم الممارسة أم الاحتفال، ويشمل المصطلح كذلك حرية تغيير الدين أو عدم اتباع أي دين[٨].

اذن ان مفهوم التعايش السلمي: هو تعبير يراد به خلق جو من التفاهم بين الشعوب بعيداً عن الحرب والعنف"[٩].

المطلب الثاني

الاسلام طريق التسامح

إن الخط العام بين الفكر عند نشوئه وفي مراحل تطوره الأخرى يكون مختلفاً اختلافاً كبيراً، فالفكرة قد تنشئ لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، ثم لا تلبث ان تنحرف بعيداً عن أسباب وجودها ونشأتها، ولا يخلو حتى الدين بكل مسمياته من هذه الظاهرة أو المشكلة، "والمشكلة في كل دين نبوي أنهُ يتحول إلى دين كهاني بمرور الأيام، فالتعاليم التي جاء بها النبي (ص) (والمقصود في عموم اللفظ، ولا يخص نبياً معيناً) كثيراً ما تناقض العادات الاجتماعية السائدة بين الناس، وهم إنما رضخوا لتلك التعاليم في وقت الحماسة الأولى، عند دخولهم في الدين الجديد، ولكنهم لا يستطيعون الاستمرار عليها طويلاً، فهم لا بد ان يتحرروا منها ليعودوا إلى عاداتهم القديمة أو يطوروا لهم عادات أخرى تحت ظروفهم المتغيرة"[١٠].

كان بناء دين الإسلام منذ ظهوره على اليسر، قال (ﷺ): «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[١١]. وفي هذا الدين من السماحة والسهولة ومن اليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده وهو ما يجعله صالحاً لكل زمان ومكان لسائر الأمم والشعوب، فالسماحة تتواءم مع عالمية الإسلام، وخطاب الدعوة في القرآن والسنة يؤكد ذلك، إذ جاءت النصوص تدعو الناس أن ينضموا تحت لواء واحد وأن يتنافسوا على معيار الإسلام الخالد وهو التقوى قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[١٢]. لقد جاء الإسلام في الجاهلية أهدرت كرامة الإنسان وحريته فأعاد الإسلام بناء الإنسان من جديد ونظم علاقته بربه وعلاقته بالآخرين.

واحتضنت مكة قبل الإسلام أصنام العرب، "فقامت تستضيف في كعبتها أرباب قبائل الجزيرة على تعددها وتناقضها تلك الأرباب التي كانت في نظر أصحابها أسلافاً صالحين، وكان الرب هو جد القبيلة البعيد وسيدها ورمزها ومعبودها وضامن وحدتها وتماسكها... ولم تجد قبائل الجزيرة في تلك الضيافة غضاضة، بل رحبت بدورها بتلك الخطوة وسارعت إليها"[١٣]. وهكذا عرف العرب قبل الإسلام نوعاً من التسامح الديني كان منشأه الحاجة الاقتصادية وضرورات الحياة المبنية على التعاون في بيئة قاسية فكان لابد من القبول بالآخر

وأفكارهِ وآرائهِ والتعامل معهُ على أساس الإنسانية قبل أي شيء، "فأصبحت مكة حرماً آمناً، يطمئن فيه الناس على حياتهم وأموالهم، ويفسح أمامهم المجال للتعبير عما يجول في نفوسهم من معتقدات وأفكار من غير خوف أو وجل"[١٤]، فكان من نتيجة ذلك التمازج نشوء العربية الفصحى وهي لغة القرآن، كما ان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ نشأ وترعرع في تلك البيئة فكان يرى ﷺ الكثير من قبائل العرب وهي تتوافد على مكة بمختلف ثقافتها وأعرافها وديانتها ومنها السماوية، فكانت آيات القرآن وهي تنزل على نبي الأمة تحثهُ على المجادلة بالتي هي أحسن ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾[١٥]، و﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[١٦] و﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[١٧].

إن الإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض[١٨].

ان الشريعة في اللغة تعني الطريق، وهو ما شرع الله لعباده وفيها كما ذكر المفسرون ان لكل من أهل الكتاب من الإنجيل والتوراة والقرآن شرائع مختلفة، فالدين واحد والإله سبحانهُ واحد ولكل أمة رسول وشريعة[١٩]، وهذه هي بحق كما وصفها أحد الباحثين أول إقرار لحقوق الإنسان من جهة ومن جهة أخرى أهم إقرار بالحقوق الدينية والاعتراف بالآخر، من مبدأ التسامح الديني والقبول بالآخر، وهو ما عرفهُ العرب في تاريخهم الطويل، كل ذلك وآيات أخرى سوف نذكرها، كانت تعبر عن احترام الجميع، وهي كما نرى لم تكن لتعتبر الآخر مما يمكن قتله أو استباحة دمه، لمجرد الاختلاف معهُ فكرياً ودينياً، ولو استثنينا سنوات القتال التي دارت بين الدعوة وأعدائها والتي بنيت عليها أحكام التعامل بالقوة والسيف، لوجدنا ان أغلب التعامل من دون تلك المدة كان يقوم على أساس التسامح مع الآخرين ومع معتقداتهم، ولا ريب ان سنوات القتال في كل زمان ومكان تكون فيها الأحداث

والقوانين طارئة، وهي تصلح لوقت ما وقد تعطل في زمان آخر، وهذا ما عرف في علوم الفقه بعلم الناسخ والمنسوخ، والتي لا مجال ها هنا لذكرها. وأشار ابن حزم إلى أمر مهم فيما يخص تلك الحالة بالقول: "ان الحق يعود باطلاً والأمر يعود نهياً وان الطاعة تعود معصية وهكذا القول في جميع شرائعهم لأنها إنما هي أوامر في وقت محدد بعمل محدد فإذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الأمر منهياً عنه"[٢٠]، وقد عبر أحد الباحثين عن هذا القول عادّاً إياه بكشف عن رصيد الثقافة العقلانية التي تشبع بها مفكرو العصور الإسلامية على اختلاف منازعهم[٢١]. وشرع الإسلام مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة، فشرع للمسلم أن يعطيهم من الصدقة ويهدي إليهم ويقبل هديتهم ويواسيهم عند المصيبة ويعود مريضهم ويهنئهم بما تشرع فيه التهنئة كالتهنئة بالمولود والزواج ويناديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفاً لهم[٢٢].

والقول بمجمله يمثل قمة في تطوير الأفكار بتغير الظروف، وهو ما يمكن النفاذ منه في عصورنا الحالية للعيش مع الجميع على أساس التكافؤ والمصالح المشتركة من دون التنازل عما يمكن عده حقوقاً لا يمكن التراجع او التخلي عنها.

لقد اجتاز الإسلام حقبتين حاسمتين في تاريخه التأسيسي في زمن الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وهي الحقبة المكية عندما كانت التعاليم ترتبط بالعقيدة وبالوعد والوعيد لكنها تنحو اجتماعياً منحى المسالمة والموادعة، إذ لم يكن للنبي ﷺ أي سلطة سوى مساندة قومه من بني هاشم له ضد أعدائه، أما الحقبة الأخرى وهي الحقبة المدنية حين صار الإسلام دولة وتوحدت فيه السلطتان الزمنية والروحية في يد الرسول ﷺ أخذت التعاليم الدينية منحىً دنيوياً، وهنا يتساءل صاحب هذا الرأي هل هو تحول في بنية الدين ذاته أم هو تحول تاريخي؟[٢٣] ان صاحب هذا الرأي يطرح تساؤلاً مهماً وله علاقة وثيقة بموضوع التسامح الديني والعيش مع الآخر بوئام، إذ إنهُ يوعز ما حدث في المدينة في حقبة تاريخية، كان مرحلة اضطرت المسلمين للوقوف بحزم وقوة ضد من حاول القضاء على دعوة الإسلام وليس ضد تعدد الأفكار، وحتى التي كانت تناصب النبي عدوانها، فهذا القرآن الكريم يخاطب الرسول ﷺ وهو في المدينة بين اليهود بالقول: ﴿كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ

مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٤]، وآيات آخر لا مجال لذكرها لأن البحث لا يسعها، وهو يمثل قمة في احترام معتقدات الأخرى إذا ما التزم الآخر باحترام المواثيق والعهود.

ان الدين عامة والإسلام خاصة لا قوم كما يتوهم بعضهم على أساس (القسر) أو الإلزام أي لا يقوم على العبودية بالمعنى الذي يفهمه هؤلاء بعضهم وهم أصحاب ما يسمى بالحاكمية... لأن العلاقة بين الله سبحانه وتعالى والإنسان كما يصوغها القرآن الكريم تقوم على أساس "حرية الاختيار" فالمجال مفتوح أمام الإنسان ليؤمن أو ليكفر وان النصوص الدالة على هذه الحرية محفوظة ومعروفة وحين يختار الإنسان عقيدة بعينها يكون مطلوباً منهُ الطاعة القائمة على حرية الاختيار الأصلية فالفرع لا يلغي الأصل أبداً[٢٥]، ان للأفكار تاريخاً ويجب ان لا تفصل تلك الأفكار عن تاريخها، وحين تفصل الفكرة عن تاريخها، تصبح آنذاك مقدسة لا يمكن المساس بها وكأنها خارج التاريخ وفي الحقيقة لا توجد فكرة بلا تاريخ مهما كانت قدسيتها أو أهميتها ولكي نعرف أي شريعة أو فكرة فإن علينا ان لا نفصلها عن تاريخها وكأنها جزءًا منفصلاً عن ذلك التاريخ، وقد وعى الإمام علي ﴿ ﷺ ﴾ ذلك بقوله عن القرآن في موقعة صفين لما حكموا القرآن بينه وبين معاوية، فقال: "إنا لسنا حكمنا الرجال إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال"[٢٦]، أو كما قال في موضع آخر: "القرآن حمال أوجه"[٢٧]، وقد أشار أبو الدرداء ﷺ عن ذلك قائلاً: "لا يكون الرجل فقيهاً حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة"[٢٨]. وما نريد الوصول إليه بعد كل هذا هو ان بإمكاننا التعامل مع تلك النصوص فيما يخدم المصلحة العامة وحقن دماء الناس والتعايش مع الجميع. ولا نريد الخوض أكثر فالبحر واسع ولا يسعه مدادنا مهما كبر وعظم وإنما يكفي ما أشرنا إليه علّهُ يغني من الأمر شيء.

ومن ركائز الإسلام الأساسية مصدرين مهمين هما القرآن وهو كلام الله والسنة النبوية، وهي أحاديث الرسول وممارساته اليومية، وقد دون القرآن وكما هو معروف في وقت مبكر، أما السنة فقد بقيت تتناقلها الألسن شفوياً إلى ما بعد الخلفاء الراشدين[٢٩]، فالسنة إنما خضعت على تاريخها الطويل للنقل شفاهاً وعلى ألسنة الرواة، ولا بد من أنها تعرضت في ذلك التاريخ الطويل لما تتعرض له الروايات عند النقل الشفهي، إلا ان الأعم الأغلب فيما وصل إلينا إنما يمثل حالات التعايش السلمي مع الآخر والسماح له بممارسة شعائره من دون التعرض لها.

وجاء الاسلام ينظر باحترام الى تعاليم التوراة الاصلية ومما جاء به ((إن هذا لفي الصحف الاولى، صحف ابراهيم وموسى))[٣٠] ويذكر بدور موسى لبني اسرائيل[٣١]، ويشير الى وجود وفاق بين تعاليم القرآن والتوراة الاصلية[٣٢].

لذا كان امام رسول الله مهمة في غاية الدقة في اللحظات الاولى منذ نزوله الى المدينة، وهي التأليف بين هذه القطاعات الاجتماعية وتأمين عيشها معاً من دون مشكلات ويكون الرابط بينها بالدرجة الاساس الانتماء للوطن والارض المشتركة وتنميتها والدفاع عنها وكذلك الالتزام بالتسامح الديني والعون الانساني العام والمساواة القائمة على العلاقات والقواعد العامة والنظرة على انهم بشر مكرمون مهما كان دينهم وانتماؤهم(١).

وكان الرسول يتوقع ترحيب اليهود، ومساعدتهم للمسلمين؛ لأنهم أهل كتاب فعاملهم بانفتاح ووضع كتاباً بين الجماعة الاسلامية وبينهم في المدينة "كتاباً بين المهاجرين والانصار وأدع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم"[٣٣] وينظم الكتاب الشؤون المشتركة بينهم ويوجب التساند في وجه الخطر الخارجي خاصة ولكنهم سرعان ما وقفوا منه موقفاً اتسم بالسلبية وتدرج الى المقاومة والتأليب مما اضطر الرسول (ﷺ) الى اجلائهم[٣٤]، اذ يذكر الواقدي "فلما أصاب رسول الله (ﷺ) أصحاب بدر، وقدم المدينة بغت يهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله (ﷺ) من العهد"[٣٥].

كان النبي (ﷺ) حريصاً على التزام التسامح الديني مع اليهود كونهم أهل كتاب سماوي امتثالاً لقوله تعالى: ((لا إكراه في الدين))[٣٦]، وكتأكيد التسامح الديني يذكر البخاري: "حين حدث تشاد بين مسلم ويهودي فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين وقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم اليهودي فشكا الى النبي محمد (ﷺ) فدعى المسلم ونهره قائلاً: "لا تخيروني على موسى"[٣٧].

إن من أعظم مبادئ التعايش العدل مع المخالف وجعل ذلك دليلاً على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء قال تعالى: {يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}[٣٨].

ولذا فإن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والنابغون في مختلف الفنون والأعمال، وهل يمكن أن يكون لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني.

الخاتمة

لا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج بعد أن اكتملت صورته بالشكل الذي رسمناه له، فنقول:

١- ان في هذا الدين من السماحة والسهولة ومن اليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده وهو ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان لسائر الأمم والشعوب.

٢-التَّعَايُشُ السِّلْمِيُّ تَعْبِيرٌ يُرَادُ بِهِ خَلْقُ جَوٍّ مِنَ التَّفَاهُمِ بَيْنَ الشُّعُوبِ بَعِيداً عَنِ الحَرْبِ وَالعُنْفِ.

٣-التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعاً من دون استثناء.

٤-التعايش السلمي هو اتفاق وقبول وتصالح أخلاقي بين الناس في تعاملهم ومعاملاتهم حيث ما وُجِدوا في الزمان والمكان أنفسهما.

٥-ان التعايش لا يكون الاَّ بوجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره الاَّ إذا وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة لحمتها الألفة تسودها المودة والثقة.

٦-شرع الإسلام مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة، فشرع للمسلم أن يعطيهم من الصدقة ويهدى إليهم ويقبل هديتهم ويواسيهم عند المصيبة ويعود مريضهم ويهنئهم بما تشرع فيه التهنئة كالتهنئة بالمولود والزواج ويناديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفاً لهم.

٧-إنّ مفهوم العدل من المفاهيم العالمية والإنسانية ولم يكن مفهوماً دينياً بقدر ما هو مفهوم عقلي وحركة البشرية منذ تاريخها الأول إلى يومنا هذا تبحث عن تجسيد هذه القيمة وتتبناها برغم اختلاف الأديان، فهو من المفاهيم العالمية المشتركة بين بني البشر.

هوامش البحث

١) ينظر كتاب العين، الخليل احمد الفراهيدي: دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٣، ١٧٩/٢، باب (العين والشين و(واي) معهما).

٢) ينظر كتاب غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨١، ١/ ٤١٥-٤١٦ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ١٩٤/٤، لسان العرب، ابو الفضل ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤ / ٣٢١-٣٢٢.

٣) التقارب والتعايش مع غير المسلمين، الدكتور محمد موسى الشريف، دار ابن كثير- دمشق-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٧.

[٤] الإعلام العربي بين التنوير والتزوير، أحمد جابر حسنين، دار القلم، بيروت، ١٩٩٢، ص٧٦.

[٥] ينظر: الحوار من أجل التعايش، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ٧٦.

[٦] سورة الإسراء: ٧٠.

[٧] السيد محمد حسين فضل الله، مجلة المنطلق، العدد ١٨، ١٤٠٢ هـ، /١٤.

[٨] موسوعة ويكيبيديا الحرة، مادة الحرية، 25/4/2012حرية/www.wekebedya.com/wiki .

[٩] معجم الغني، عبد الغني أبو العزم، موقع صخر العربية. الرابط: .http://qamoos smkhr.com/openme.asp

(١٠) الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط١ ، دار الكتاب الإسلامي، (د.م – ٢٠٠٥م)، ٣٤٣/٢.

[١١] رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم الحديث: ٣٩.

[١٢] سورة الحجرات / ١٣.

(١٣) القمي، سيد محمود، حروب دولة الرسول، ط٤، مطبوعات مدبولي الصغير، (القاهرة – د.ت)، ١٤/١.

(١٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (بغداد – د.ت)، ٥٠٧/٦.

(١٥) سورة العنكبوت، الاية ٤٧.

(١٦) سورة النحل ، الاية ١٢٥.

(١٧) سورة النحل ، الاية ١٢٦.

[١٨] انظر: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، دار التوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٠٩ه، ص ٦.

(١٩) الحبيشي، نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، ط٣، دار العلم للملايين، (بيروت – د.ت)، ص٧٩.
(٢٠) ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية، (القاهرة – د.ت)، ١٠٠/١.
(٢١) العلوي ، هادي، من قاموس التراث، الأهالي للطباعة والنشر، (دمشق– ١٩٨٨م)، ص٩٦.
[٢٢] انظر تفصيل ذلك في: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبد الله اللحيدان، مطابع الحميضي، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ، ص ١٤٨ – ١٧٨.
(٢٣) ابو زيد، نصر حامد، التفكير في زمن التكفير، ط٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة – ١٩٩٥)، ص٨٨-٨٩.
(٢٤) سورة المائدة الآية: ٤٣.
(٢٥) ابو زيد، التفكير في زمن التكفير ١٤٦- ١٤٧.
(٢٦) الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، دار صادر، (بيروت- ١٩٨٠)، ١١٠/٣.
(٢٧) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ط٢، دار القلم، (بيروت– د.ت)، ص ٤٠٣.
(٢٨) حسن عبد الفتاح أحمد، عناية المسلمين بأسرار وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د.مط، (المغرب- د.ت)، ص٤، ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير في أحوال التفسير، دار الجيل، (بيروت– ١٩٧٥)، ص٩٨.
(٢٩) العلوي، من قاموس التراث، ص١٦.
(٣٠) سورة الاعلى، الاية ١٨-١٩.
(٣١) سورة الشعراء، الاية ١٠ -١١؛ سورة السجدة، الاية ٢٣-٢٤.
(٣٢) سورة الاحقاف، الاية ١٢؛ سورة الشعراء، الاية ١٩٢-٧؛ سورة البقرة الاية ٤١.
(٣٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٧٤، ١٩٤
(٣٤) الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، (القاهرة-١٩٧١)، ج٢، ص١٦-١٧؛ الدوري، عبد العزيز، أوراق في التاريخ والحضارة، دار الغرب الاسلامي، (بيروت- ٢٠٠٧)، ج٣، ص٩٠-٩٣.
(٣٥) الواقدي، المغازي، ص١٧٦.
(٣٦) سورة البقرة، من الاية ٢٥٦.
(٣٧) البخاري، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة البخاري، (مصر -١٩٧٩)، ج١، ص٢٢٧. ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص١٤٣.
[٣٨] سورة المائدة / ٨.

المصادر

القرآن الكريم

١) الإعلام العربي بين التنوير والتزوير، أحمد جابر حسنين، دار القلم، بيروت، ١٩٩٢.
٢) أوراق في التاريخ والحضارة، عبد العزيز الدوري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٧.
٣) تاريخ الطبري، محمد بن جرير، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.
٤) التعريف في فضل حملة العلم الشريف، الحبيشي، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).
٥) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، دار التوزيع، القاهرة، ١٩٨٩.
٦) التفكير في زمن التكفير، نصر حامد ابو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.
٧) التقارب والتعايش مع غير المسلمين، محمد موسى الشريف، دار ابن كثير- دمشق-بيروت، ٢٠٠٦م.
٨) جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، دار القلم، (بيروت– د.ت)
٩) حروب دولة الرسول، سيد محمود القمي، مطبوعات مدبولي الصغير، القاهرة – (د.ت).
١٠)الحوار من أجل التعايش، د.عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١١)دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبد الله اللحيدان، مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٢٠هـ.
١٢)الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٣)صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة البخاري، مصر، ١٩٧٩.
١٤)عناية المسلمين بأسرار وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد، د.مط، (المغرب-د.ت).
١٥)غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.
١٦)الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد، مكتبة السلام العالمية، (القاهرة – د.ت).
١٧)الفوز الكبير في أحوال التفسير، ولي الله الدهلوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥.
١٨)كتاب العين، الخليل احمد الفراهيدي: دار الكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٣.
١٩)لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

٢٠)لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، علي الوردي، دار الكتاب الإسلامي، (د.م)، ٢٠٠٥.
٢١)مغازي الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي– بيروت، ١٩٨٩.
٢٢)المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (بغداد – د.ت).
٢٣) مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩.
٢٤) من قاموس التراث، هادي العلوي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٨م.